العنوان:	الحياة الأدبية و الثقافية في نابلس و ما حولها في العصر العباسي
المؤلف الرئيسي:	اللبدي، نزار وصفي
مؤلفين آخرين:	الابراهيمي، ابراهيم محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1987
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 172
رقم MD:	550091
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الحياة الأدبية، الحياة الثقافية، نابلس ، العصر العباسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/550091

الجامعة الأردنية
كلية الآداب / قسم اللغة العربية وآدابها

الحياة الأدبية والثقافية في نابلس وما حولها في العصر العباسي

دراسة قام بها

" نزار وصفي اللبدي "

اشراف

الأستاذ الدكتور / محمود ابراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها
لكلية الآداب في الجامعة الأردنية

٢٠ تموز ١٩٨٧م

الاهـــــــــداء

إلـــى والـــديّ ، اللـــذين علّمـــاني أنّ حُـــبّ الوطن من الإيمـــان ونَقَشـــا في ذاكـــرتي أنّ الوطـــن أرض قبـــلَ كُـــلّ شـــــيء ؛ والـــى تلك الســواعـــد الّتي امتـــدّت وتَمتـــدّ كُـلّ حـــين انطـــلاقاً من هـــذا المفهـوم ، من أجـل تحـــرير الأرض واعـــادة كـــرامـة الأمّـــة .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقــــدّمة

نابُلس مدينةٌ قديمةٌ لا يُعرفُ تاريخٌ دقيقٌ لبنائها ، تعاقبتْ عليها أُمَـمٌ وحضاراتٌ تركتْ فيها آثاراً واضحةً ، وقد انضوتْ تحتَ لواءِ الأسلامِ في بداياتِ سِنيّ الفتح فشهدتْ مواكبَ الصّحابة ، وغدتْ كُورةً مِن كُورِ جُندِ فِلسطين ، وهو من أجنادِ ولايةِ الشّام ، وتأثّرتْ بكلِّ التّطوّراتِ السّياسيةِ والتغييراتِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والعسكريةِ الّتي كانتْ تطرأُ على الدولةِ الأسلامية ، وأثّرتْ هيَ بدورها بما أوتيتْ من طاقاتٍ في مسيرةِ تلكَ الدّولة .

والجانبُ الّذي قامتْ عليه هـذه الدّراسةُ ، هو الحياةُ الأدبيةُ والثّقافيّةُ في هـذه المدينةِ وما حولها في العصر العبّاسي ، مُنذ قيامِ الدّولةِ العبّاسيةِ سنةَ مائةٍ واثنتين وثلاثين ، إلى سقوطِ بغدادَ بيدِ التّتار ، وانتهاءِ الخلافةِ سنةَ ستّمائةٍ وستٍ وخمسينَ للهجرة .

ولهـذه الدراسةِ مُبرّراتٌ ، يُمكنُ ايجازُها في النّقاط التّالية :

* إنّ من المُفيد والواجبِ أن يتعرّفَ المرءُ الذي يَنتمي إلى بُقعةٍ جُغرافيّةٍ مُعيّنةٍ في الوطنِ العربيّ الكبير ، على الدّور الذي اضطلعتْ به تلكَ المنطقةُ في المسيرةِ الثّقافيةِ والفكريّةِ للأُمّةِ العربيّةِ الأسلاميّة .

* لم تظهرْ في حدودِ ما أعلمُ ، دراسةٌ مُستقلّةٌ مُتخصّصةٌ عن الحياةِ الأدبيةِ والثقافيّةِ في المنطقة ، والمعلوماتُ الدالّةُ على هذه الحياةِ ، إنّما جاءتْ في صورةِ مادّةٍ مُبعثرةٍ في كُتبِ التّراثِ العربيّ .

* إنّ فـي عَرْضِ النّتاجِ الثّقافيّ والأدبيّ لهذه المنطقة ، في ظلِّ الحُكمِ العبّاسي مايُثبتُ عَراقةَ انتمائِها إلى الأمةِ العربيّةِ الأسلاميّةِ لُغةً وفكراً ، ويدحضُ أيّما ادعاءاتٍ مُغايرةٍ لهذه الحقيقة ، بغضِّ النّظرِ عن مصادرِ هذه الادّعاءات ، ولا سيّما أن منها مايتجنّبُ الأدلّةَ الوثائقيةَ ، ويعتمدُ على التّعميماتِ الّتي تجعلُ من الجزءِ الصّغيرِ من حِقَبِ التّاريخِ ووقائعهِ كُلاًّ كبيراً .

أمّا أهمُّ القضايا التي عالجتْها هذه الدّراسةُ فهي :

- رصدُ الحركةِ الأدبيّةِ والثّقافيّةِ في المنطقةِ في العصرِ المذكور .
- الكشفُ عن مدى تأثّرِ الحركةِ الأدبيّةِ والثقافيةِ في المنطقة بالتّطوراتِ السّياسيةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ خلالَ فترةِ الحكمِ العبّاسيّ .

• التعريفُ بأعلامِ الأدب والثقافة في المنطقة ، وبيانُ اسهاماتهم في المجالات المختلفةِ ثم تتبُّعُ آثارِهم : المطبوعةِ منها والمخطوطةِ .

ولقد وجدتُ صعوبةً في لملمة مادّة هذه الدراسة ، معتمداً في ذلك على مصادر التراث التي حوت نُتَفاً متناثرةً من انتاج المنطقة الأدبيّ والثقافي ، فكان لا بُدّ من جُهدٍ دؤوب من أجل الوصول إلى المعلومات التي تتطلّبها هذه الدراسة ، ولا سيّما أنني لم أعثر على دراسة مستقلةٍ واحدةٍ عنيت بأدب المنطقة وثقافتها، إذ إنّ جُلّ ما تقدّمَ من دراسات قد تناول فيها أصحابُها الحياةَ الأدبيةَ والثقافيّة في فلسطين عامة ، أو في جزء من أجزائها ، ولكن دون أن تحظى منطقة نابلس باهتمام خاص ، ومن بين الدراساتِ الحديثةِ التي عُنيتْ بالحياة الثقافية في فلسطين تلك الدراسةُ التي أعدّها المرحوم أحمد سامح الخالدي عن المعاهد المصرية في بيت المقدس ، ومنها كذلك كتابه "أهل العلم والحكم في ريف فلسطين"، ومنها دراسةٌ بعنوان "تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر عهد الأيوبيين" قام بها سليمان إسحق عطيّة ، ونال عليها درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين . ومن الدراسات الحديثة كذلك ، الدراسةُ المعجمية التي قام بها الدكتور هاني العَمَد في كتابه "معجم النابهين في جنوبي بلاد الشام: فلسطين والأردن" وتشتمل هذه الدراسةُ على أسماءِ عَدَد كبير من الأعلام في كل فن ، ابتداءً بالعام الأول الهجري .

أمّا المصادرُ الأولى التي اعتمدتُ عليها في جمع مادّة هذه الدراسةِ فَجُلّها من كتب التراجم . ولقد كان كتابُ "الذيل على طبقات الحنابلة" للحافظ ابن رجب ، وهو من أبناء القرن الثامن الهجري ، من أكثر هذه المصادر عوناً لي ، إذ إنني وجدت فيه كثيراً من التراجم لعلماء المنطقة ، وقد أورد مادّته بتفصيل لا يوجد عند غيره ، ممّا جَعَلني أعتمد عليه اعتماداً كبيراً في التّعرّفِ على سِيَر الكثيرين من العلماء النابُلسيين .

ومن هذه المصادرِ ، كذلك كتابُ "مرآة الزّمان" لسبط ابن الجوزي وقد كان هو الآخر ، عوناً كبيراً لي في هذه الدّراسة ، لاشتماله على كثير من تراجم علماء المنطقة ، بل إنّ لهذا الكتاب ميزةً خاصةً به ، لأنّ صاحبَه كان معاصراً لكثير من أولئك العلماء النابُلسيين الذين تَرجم لهم ، فقد عاش عُمُرَه في القرن السادس وأدرك جانباً من القرن السابع غير أن ما يؤخذ على هذا الكتاب ، أنّ صاحبَه قد جَمع فيه كثيراً من الأخبار التي يَصعُب تقبّلُها ، إذ نَسَب إلى الكثيرين مِمّن تَرجَم لهم مالا يتقبّلُه العقلُ من أخبار .

ومن المصادرِ الهامّة التي أفادتني في هذه الدّراسة ، كتابُ "الذّيل على الروضتين" لأبي شامة المقدسي ، وهو كتاب في التراجم ، ترجم فيه صاحبُه لكثير من معاصريه مِمّن عاشوا في ظِلّ الدولتين النوريةِ والصلاحيّةِ ، ومنهم علماءُ من منطقة

نابُلُس ، ممّا جَعل لهذا المُصنَّف ميزة المُعاصرة ، علاوةً على ماعُرف عن أبي شامة من تَحَرٍّ وضَبْط. والجَديرُ بالذكر أنّ ابن رجب اعتمدَ في كتابه " الذيل على طبقات الحنابلة " على هذين المصدرين السابقين اعتمادا" كبيرا" في روايته لكثير من الأخبار ذات الصلة بالأشخاص الذين ترجم لهم ، وإنّما قدّمتُ الحديث عن كتاب ابن رجب لأنني أخذتُ عنه أكثرَ ما أخذتُ من المصدرين الآخرين ، لأن الفترةَ الزمنية فيه أكثرُ مقدارا" منها في هذين المصدرين.ومن المصادر التي أخذت منها، كتابُ " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية " لأحمدَ بن طولون ، من علماء القرن التاسع ، وهو وإن يُكن متأخرا" إلّا أنه يمتاز عن المصادر السالفة بأن صاحبه قد قَصَرَهُ على بُقعة جُغرافية مُعيّنة،مُستَعرضا" طبيعتَها وتاريخها والحركةَ الثقافيّةَ والعلمية فيها ، مترجما" لعدد كبير من علمائها . ولعلّ في إسم الكِتاب مايوحي بأهميته بالنسبة إلى هذه الدراسة ، إذ إنّ الصّالحية التي أُضيف إليها عنوان الكتاب تُمَثّل المأوى الأوّل الذي أوى إليه عددٌ كبير من العلماء النابُلسيين الذين فَرّوا من وَجه الصليبيين ،ولأنها استمدّت اسمها من صَلاحِهم ، فسُمّيت بالصّالحية ، وهم الذين عَمّروها ، وجعلوا منها مركزا" من مراكز الاشعاع الثقافي في ذلك العهد . وقد تحدّث المصنّف في كتابه عن كل ذلك حديثا" مُفصّلا" ، مُحلّلا" أسبابَ الهجرة ومُحدّدا" وقتها ، ذاكرا" أسماء الذين هاجروا اليها من العلماء النابلسيين . وقد تحدّث بإسهاب عن دور كُلٍّ من هؤلاء العلماء في الحياة الثقافية في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين وما يليهما . وقد اعتمد ابن طولون في كتابه هذا على أخبار المتقدمين، فنَقل كثيرا" من مادة كتابه عن سِبْط ابن الجَوزي ، والحافظ ابن رَجب ، وأبي شامة المُقدسيّ، ولا سيّما مايتعلّق من هذه المادة بالتراجم .

ومن المصادر التي استعَنتُ بها في هذه الدراسة ، كتابُ " تذكرة الحُفّاظ" للأمام الذّهبي (٧٤٣ هـ) ، وهو كتاب في التراجم كذلك ، وقد اشتمل على ترجمات كثيرة لعلماء نابُلُسيين ، وُجدوا في العصر العبّاسي . ويمتاز هذا الكتابُ بأنّ صاحبه لم يكن يَذكرُ فيه إلّا ماثَبت لديه من الأخبار ، اضافةً الى أنه قريبُ عَهدٍ من الفترةِ المعنيّةِ بالدراسة . وقد نقل كثيرا" من الأخبار عن سِبط ابن الجَوزي وأبي شامة المقدسي واليونيني .

أمّا كتابُ " شذرات الذهب " لابن العِماد الحَنبلي ، فهو غَنيٌّ عن البيان،إذ يمكن القولُ بأنّه من أوسع كتب التّراجم ، وقد استفدتُ منه فائدةً كبيرة ، إذ لم تكد تُفلت منه ترجمةٌ لِعالمٍ من عُلماء المنطقة ، وقد تراوَحتْ هذه التراجمُ لديه بين الأيجاز والاتّساع، ونظرا" لكونه متأخّرا" زمنيا" ، فإنّنا نجده يعتمدُ على سابقيه اعتمادا" كبيرا" وبخاصة على سِبط ابن الجَوزي ، فهو يَنقل عنه أحيانا" نَقلا" حرفيا". وقيمةُ هذا المصدر بالنسبة إلى هذه الدراسة ،تَكمُن في اشتماله على سِنيّ العصر العباسيّ جميعها .

ومن مصادري التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة ، كتابُ " فوات الوفيات "

للصّفدي وهو أيضاً ، كتابٌ في التّراجم ، وقد كان مُعيناً لي في التعرّف على عدد من الشعراء النابُلُسيين إذ وجدتُ فيه أخباراً وأشعاراً ، وتراجمَ لشعراءَ لم يتَسنَّ لي العُثور عليها في غيره من المصادر .

ومن المصادر المتأخرة التي استعَنتُ بها في جانبٍ مُهم من هذه الدراسة، كتابُ " كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون " لحاجي خليفة ، فقد أفدْتُ منه كثيراً في التعرّف على الكثير من مؤلفات العلماء النابلسيين ، مع تعريف أحياناً بهذه المؤلفات من حيث مضمونُها ونُسَخُها ، والشروحُ المختلفةُ التي وُضعَت عليها إن وُجِدَت ، إلى غير ذلك من الأمور التي هي مفيدة للباحث .

أمّا فيما يتعلق بأقسام هذه الدراسة ، فقد أقمْتُها على مَدْخل وثلاثة فُصول ، وقد عَرَضتُ في المدخل مادةً مُجملةً عن تاريخ المنطقة قبل الاسلام وبعده ، وذكرت أهم الأحداث التي مَرّت بها المنطقةُ ، وبيّنتُ مكانَتها الدينيةَ باعتبارها جزءاً من أرض الاسراء ، وألمَمْتُ كذلك بايجاز بالوضع الاقتصادي والاجتماعي لأهل المنطقة في ظل الحكم العبّاسي ، وتحدّثت عن أهم ما كان يميز الحياة الثقافية في المنطقة في ذلك العهد .

وفي الفصل الأول تحدّثت عن الحياة الثقافية في المنطقة وقسمت الفصلَ إلى قسمين ، تحدثت في الأول منهما عن علوم الحديث والزهد ، مبرزاً الدور الهامّ الذي كان لعلماء المنطقة في هذا المجال ، وتحدثت في الثاني عن علوم الفقه والقضاء في المنطقة ، وترجمتُ لأشهر الفقهاء النابلسيين .
وتناولتُ في الفصل الثاني ، الحياةَ الأدبيةَ في نابلس وما حولها ، فتحدثت عن دور علماء المنطقة في علوم اللغة ، ثم استعرَضْتُ مسيرةَ الشّعر ، وترجمتُ لعدد من الشّعَراء النابلسيين .
وفي الفصل الثالث ، والأخير ، قُمتُ بدراسة تَقويميّة لِلنّتاجَيْن الثقافي والأدبي في المنطقة في العصر العبّاسي ، عَرَضْتُ من خلالها لأهمّ ماكان يميز هذين النّتاجَين ، وفي اطار هذه الدراسة التقويمية ، سَلّطْتُ الأضواءَ على كتابين أحدهُما مَطبوعٌ وهو كتاب " المُغني " لابن قدامة " ، والآخرُ مخطوطٌ ، بعنوان " من أحاديث الشعر " لعبد الغني بن عبد الواحد . وأوردت في هذا الفصل كذلك مجموعة من الشواهد لشعراء نابُلُسيين ، عاشوا في الفترة الّتي تُعنى بها هذه الدّراسةَ .
وأنهيتُ الدراسةَ بخاتمة موجَزَةٍ لخّصْتُ فيها النتائجَ التي توصّلتُ إليها ثَمَرةَ جهدي في هذه الدراسة .
وألحقت الدراسة بعد هذا كله بفهارسَ تفصيليةٍ للآيات والأحاديث ، والشعر والقبائل والأماكن والأعلام ، وأتبعْتُها بثَبَتٍ للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها

وبعد ،

فإنني وإن أكن قد صرفت إلى هذا البحث جهدي ، وحشدت إليه كل طاقتي ، لا أدعي أنني بلغت به كل ما ينبغي له ، فما أنا إلا متعلم، والمتعلم يخطئ ويصيب ، وما أتمناه ، أن يظهر من بين الدارسين من يكمل نقص هذه الدراسة لتحقيق الغاية المرجوة منها .

ولأستاذي الدكتور محمود ابراهيم الفضل في إخراج هذه الدراسة إلى النور ، فلقد كان لجده عليّ وسهره على تنقيح هذه الدراسة ، خير معين لي طوال مدة البحث ، فإليه أزجي شكري وأقدم احترامي سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليه ثوب الصحة والعافية وأن يمده بمزيد من القوة ليبقى كما هو نعم المرشد والموجه لمن ينعمون باشرافه على دراساتهم .

وبالله التوفيق ،

مدخل

نابلس مدينة قديمة (١)، تعرّضت لما تعرّضت له أرض فلسطين من إغارات وهجمات عبر التاريخ، فتعاقبت عليها أمم شتى وحضارات مختلفة، وذلك لما كانت تتمتع به من القدسية، ولما تمتاز به من أهمية في الموقع وخصوبة في الأرض ووفرة في انتاج المواد الغذائية.

فقد ذكر ابن العبري في حديثه عن اليونان القدماء ما نصّه: "وفي هذا الزمان، أخرب هورقانس مدينة شمرين، وهي نابلس" (٢). وفي موضع آخر قال: "وفي أيام الدولة السابعة المنتقلة من ملوك اليونانيين الوثنيين إلى ملوك الافرنج، وفي عهد أغوسطوس قيصر، جدد هيرود يس مدينة نابلس" (٣) وفي موضع ثالث قال ابن العبري: "وفي أيام الدولة السابعة أيضا"، وفي أواخر أيام زينون قيصر، عصى السّمرة بنابلس، ونصّبوا لهم ملكا" فقتل جمعا" كبيرا" من النصارى، فسيّر عليهم زينون جيشا" وقتل الخارجي السامري" (٤).

وإذا كانت نابلس وغيرها من مدن فلسطين قد تعرضت قديما" لغزوات أمم من خارج المنطقة، فقد تعاقبت عليها كذلك موجات من الساميين، اتخذوا فلسطين بسائر مدنها مستقرا" لهم، فنشأت حضارات عربية زاهرة على أرضها. وقد كان الكنعانيون أقدم من نزل فلسطين من الساميين، وذلك في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهم الذين أطلقوا اسم شكيم على نابلس (٥).

وفي نطاق حركة الفتوحات الاسلامية الأولى، وبعد الفراغ من محاربة المرتدين في الجزيرة العربية، وجّه أبو بكر الصّدّيق، رضي الله عنه، عمرو بن العاص إلى فلسطين، وعلى يديه تمّ فتح عدد من مدنها. وفي هذا يقول البلاذري:

---

(١) انظر في قدم المدينة: محمد بن واضح اليعقوبي، سنة ٢٨٤ هـ، البلدان المطبعة الحيدرية، النجف، ط٣، ١٩٥٧، انظر ص ٨٥.
(٢) ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون، تاريخ مختصر الدّول، دار الرائد اللّبناني ١٩٨٣ انظر: ص١٠٣.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٩.
(٤) المصدر نفسه: ص١٤٦.
(٥) مصطفى مراد الدّباغ، بلادنا فلسطين، الديار النابلسية، دار الطليعة بيروت، ط ١٩٧٠، انظر المقدمة.

" حدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أشياخه ، وعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم ، قالوا : كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، أرض فلسطين ، وعلى الناس عمرو بن العاص ، ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبي بكر ، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس ، وعلى أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم ... " (١) . ويورد الواقدي مثل هذا ، ويذكر أن أبا بكر توفي في العام نفسه (٢) ، وهذا يعني أن الفتح قد تم في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وهي السنة التي لحق فيها أبو بكر بربه .

إلا أن الطبري يرى أن فتح نابلس قد تم في السنة الخامسة عشرة من الهجرة في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وعلى يد عمرو نفسه (٣) . وقد أخذ الكثيرون عن الطبري وذهبوا إلى ما ذهب إليه . ويميل الدارس إلى الأخذ برأي البلاذري ، الذي كان حريصاً على توثيق روايته ، فضلاً عن أنه متقدم هو والواقدي على الطبري بزمن غير يسير ، وهما بذلك أقرب إلى تاريخ الفتح منه ، إضافة لما عرف عن البلاذري من تحرٍّ وضبط وتحقيق .

بقيت نابلس تستظل أفياء الحكم الاسلامي ، تتأثر بالتقلبات التي كانت تطرأ على الدولة الاسلامية وتؤثر فيها ، إلى أن اجتاح الصليبيون فلسطين ، فوقعت نابلس فيما وقع من المدن في أيديهم ، وكان سقوطها عام خمسمائة وأربعة للهجرة (٤) ، لكنهم أجلوا عنها ، ثم عاودوا الكرة فاستولوا عليها عام خمسمائة وسبعة وستين (٥) . وبقيت في أيديهم الى أن حررها السلطان صلاح

---

(١) البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ . انظر ص١٤٤ .

(٢) الواقدي ، أبو عبد الله بن عمر ، فتوح الشام ، المنسوب إلى الواقدي ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، ١٩٥٣ . انظر ص٢٠ .

(٣) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر بيروت ، ١٩٧٩ ، انظر : ج ٤ ص ٥٧ .

(٤) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ٨٢١ هـ ، صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، انظر ج ٤ ، ص١٧٧ .

(٥) ابن قاضي شهبة ٨٧٤ هـ ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ط ١ ، ص ٢٠٦ .

الدين الأيوبي عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة (١) على يد القائد حسام الدين بن عمر بن لاجين . وفي هذا يقول مجير الدين الحنبلي : " وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين * على سمت نابلس ، ووصل الى سبسطية فتسلمها ووجد مشهد زكريا - عليه السلام - قد اتخذه القسوس كنيسة ، فأعاده مشهدا كما كان . ثم قصد نابلس وأعمالها ، وكان معظم أهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين وكانوا في شدة عظيمة من الأفرنج" (٢) . ومن ولاهم السلطان صلاح الدين أمير نابلس بعد ابن لاجين ، سيف الدين علي ابن أحمد المشطوب من كبراء أمرائه (٣) . ومن الولاة البارزين الذين تولوا أمر المدينة ، سيف الدين علي بن أبي الفوارس القيمري (٤) .

وهكذا بقيت نابلس تنتقل من وال الى آخر في ظل الدولة الأيوبية إلى أن داهمها التتار فيما داهموا من ديار العالم الاسلامي ، وذلك على أثر سقوط الخلافة في بغداد سنة ستمائة وست وخمسين للهجرة . غير أنها مالبثت أن عادت إليها حريتها بعد أن عاثت فيها عساكر التتار فسادا ، فقد استعيدت عام ستمائة وثمانية وخمسين على يد الأمير مجير الدين بن سيف الدين ابن أبي زكري . وفي هذا يقول أبو شامة المقدسي : " وفي ربيع الآخر ، رجعت عساكر التتار التي كانت قد عبرت على دمشق بعدما عاثت في بلاد حوران وأرض نابلس وما حولها ... ، وممن قتل في هذه المعركة بنابلس ، الأمير مجير الدين بن سيف الدين بن أبي زكري وكان شجاعا" . بلغني أنه قتل من التتار قبل أن يقتل جماعة بسيفه ، وما زال يضرب به حتى خطف النصل من يده ، فصار يقاتلهم بنفسه ، يضرب بالدبوس ويتقي به الضرب ، ويرفس برجله كل من يصل إليه من الفرسان حتى قتل سبعة عشر أو تسعة عشر ثم قتل ، رحمه الله ، وكان التتار يتعجبون منه ، وأتوا بنصل سيفه إلى دمشق

---

(١) صبح الأعشى : ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(٢) الحنبلي ، مجير الدين ٨١٥ ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل أعادت نشره مكتبة المحتسب بعمان ١٩٧٨ . (انظر : ص ٣٢٤ ، ج ٢) .

(٣) وانظر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج ٢ ص ١٤٤ .

* محمد بن عمر بن لاجين ، ابن أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي (ست الشام بنت أيوب) (انظر : القلائد الجوهرية ، ج ١ ، ص ٨٧) .

(٣) الحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ط ٢ (انظر : ج ١٢ ، ص ٣٥٢) .

(٤) النعيمي ٩٢٧ هـ . الدارس في تاريخ المدارس ، مطبعة الترقي ، دمشق (١٩٥١ ، انظر : ج ١ ، ص ٤٤٥) .

ووقف عليه أسراؤهم (١) .
ولقد كانت نابلس ذات مكانة دينيّة ، شأنها في ذلك شأن أنحاء فلسطين كلّها، إذ من المعروف أنّ فلسطين قد وُصِفت في القرآن الكريم بأنها أرضٌ مباركة فهي مهد الرّسالات السّماوية ، وإليها كان الأسراء ، فقد أُسْري برسول الأسلام محمّد،صلى الله عليه وسلم،من مكّة إلى بيت المقدس ، ومنها عُرِجَ به إلى السماء . وفي حادثة الأسراء نزلَ قولُ الله تعالى : "سُبحانَ الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحَرام إلى المَسجد الأقصى الّذي باركنا حولَه ، لِنُريَه من آياتِنا إنّه هو السميع البصير"(٢) . فأرضُ نابُلسَ المتّصلةُ بأرضِ بيت المقدس ، أرضٌ مُقدّسةٌ ، لأنّها حولَ المسجد الأقصى كما يُفهَم من تفسير الآية الأولى من سورة الأسراء . وفي حديث الرَّسول صلّى اللّهُ عليه وسلم المُتواتر ما يُشير إلى قُدسيّة هذه الأرض . فقد رُويَ عنه قوله " لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلّا إلى ثلاثة مساجد : المَسجدِ الحرام ومَسجدي هذا والمَسجدِ الأقصى"(٣) ونُقِل عن الرّسول صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم أنّه صَلّى إلى بيت المَقدس قَبلَ هجرتِه إلى المدينة سُنتين، وصلّى إليها بعدَ هجرتِه سبعةَ عشرَ شهراً" (٤) . وفي أهلِ بيت المقدس وما حَولَه ، قال رسولُ الله صلّى اللّهُ عليه وسَلّم ، لا تزالُ عِصابةٌ مِن أُمّتي يُقاتِلون على أبوابِ دمشقَ وما حولَه ، وعلى أبوابِ بيتِ المقدسِ وما حَولَه لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلهم، ظاهرين على الحَقّ،إلى أنْ تَقومَ السّاعة"(٥) .

---

(١) أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الذيل على الروضتين ، انظر : ص ٢٠٤ .

(٢) الآية رقم (١) من سورة الاسراء .

(٣) انظر : العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، سنة ١٣١٦ هـ ج ٣ ، ص٤٢ ، والحديث من رواية أبي هريرة ، رضي الله عنه . وقد روى الحديث عن أبي سعيد الخدرى بصيغة مختلفة قليلاً" ، جاء فيها لا تشد الرحال الّا الى ثلاثة مَساجد : مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدى ".
انظر : المصدر السابق ،ج ٣ ، ص ٤٦ وانظر كذلك : ولي الدين التبريزى مشكاة المصابيح ، محمد ناصر الدين الألبانى ، منشورات دار المكتب الاسلامي بدمشق ، ط١ ، ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٤) انظر : الجامع الصحيح (مسند الامام الربيع بن حبيب) طباعة دار الأيتام الاسلامية بالقدس ط٣ ، ١٣٨١ هـ ، صفحة ٥٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية حبيب الرحمن الأعظمي ، المطبعة المصرية الكويت ١٩٧٣ ،ط١ ، انظر : ج ٤ ، ص١٦٤ . ولمزيد من الأدلة انظر : المقدّسات الاسلامية في فلسطين ص٩ وما بعدها .

أمّا وضعُ المنطقة الاقتصادي والاجتماعي فيمكن إيجازُه بما يلي :

كانت نابُلُس تعتمد في اقتصادها على ماتُنتجُه أرضُها الخصبةُ ، فهي مدينة حَسَنَةُ التّربةِ طيّبةُ الهواء ، موفورةُ الماء ، كثيرةُ الأعين والأشجار والفواكه ، ومعظمُ الأشجار بضواحيها الزّيتونُ (١) ، وهي بوجود العيونِ فيها تَختلفُ عن سائر مدن فلسطين حسبما ذكره ابن حوقل إذ يقول : " فمياه فلسطين من الأمطار والطّل ،لا سُقيَ فيها ، إلاّ نابُلُس ، فيها مياهٌ جارية (٢)" ، ولهذا كانوا يسمونها دمشق الصغرى (٣) وفيها قال ابن فَضْلِ اللّه العُمَري : " مدينة يُحتاجُ إليها ولا تَحتاجُ إلى غيرها"(٤) . ووصفها ابن أبي طالب الأنصاري بأنّها " مدينةٌ خصبةٌ بين جُبلين ، مُتسعةٌ مابينَهما ، ذاتُ مياهٍ جارية ، وكأنها قَصرٌ في بستان ، وقد خصّها الله تعالى ، بالشجرة المباركة وهي الزيتون ، ويُحملُ زيتُها إلى الدّيار المصرية والشاميّة وإلى الحجاز والبراري مع العُربان ، ويُحمل إلى جامع بني أمية منه في كلّ سَنة ألفُ قنطار بالدّمَشقي ، ويُعملُ منه الصابونُ الرّقّي ، يُحمَلُ إلى سائر البلاد التي ذكرنا وإلى جزائر البحر الرّومي ، وبها البطّيخُ الأصفرُ الزائدُ الحلاوة على جميع بطيخ الأرض" (٥) . ومثل هذا (٦) أورده ابنُ بَطوطةَ المُتوفّى عام سبعمائةٍ وستةٍ وخمسين . أمّا أهلُها فقد كانوا ـ كما يقول اليعقوبي ـ" أخلاطاً من العرب والعجم والسّامرة"(٧) والعرب منهم يَنتَسون إلى أصول عربيةٍ نقيّة ، وأمّا السامرة ، فهم طائفةٌ من اليهود ، واليهود يقولون فيهم : " إنّهم كفّار مِلّتِنا (٩)" . ويذكر الأصطخري أن أهل بيت المقدس

---

(١) الأنس الجليل : ج ٢ ص٥٧ .

(٢) ابن حوقل ، أبو القاسم النّصيبي سنة ٣٨١ هـ ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٧٦ . انظر:ص ١٥٨ .

(٣) أحسن التقاسيم : ص ١٧٤ .

(٤) مسالك الأبصار : ج ١ ، ص٢٥٣ .

(٥) شمس الدين أبو عبد الله ابن أبي طالب الأنصاري ، آثار البلاد وأخبار العباد نشر وستنفلد غوتنهن ، ص: ٢٠٠ .

(٦) تُحفَة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : علي المنتصر الكِتّاني مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٧) انظر : البلدان ، ص : ٨٥

(٨) انظر: صبحي الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٩) القزويني ، زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، ١٩٧٦ ، ط ٢ ، (انظر ص ٢٧٧) .

يزعمـون أنّ السامرةَ لا يوجد أحدٌ منهم إلّا بنابُلُس (١) . ويقول صاحبُ " مراصـد الأطّلاع " : " إنهم لا يسكنون غيرها إلّا لحاجة من عَمَلٍ أو غيرِه " (٢) . أمّا مسلمو نابلس ، فيرى البشاري ، وهو من رجال القرن الرابع الهجري ، أن المذهبَ الشيعّي قد غَلَبَ فيهم في الفترة التي ألّف فيها كتابَه ، إذ يقول : " وأهلُ طبريةَ ونصفُ نابُلُسَ وقَدَسُ وأكثرُ عمّان شيعةٌ " (٣) ولعلّ في هذا القول مبالغةً ، إذ أنني لم أجِدْ مثلَ هذا القول في أي مصدر آخر ، ولم أجد بين عشرات العلماء والأدباء من أهل هذه المدينة وما حولها مَن هو على غير مَذهَبيْ الشّافعية أو الحنبلية .

أمّا الحياةُ العامةُ في نابُلُس في القرن الرّابع الهجري ، فيتبيّنُ من ملاحظات أوردها البَشّاري أنها كانت تتصفُ بالنّشاط والحركة والعمل المتواصل ، إذ كان جُزءٌ كبيرٌ من أهلها يَحترفُ التّجارة ، " فسوقُها من الباب إلى الباب ، وهناك سوقٌ آخر يَمتَدُّ إلى وسطِ البلدِ " (٤) . وقد بلغوا مستوى عمرانيا " متقدما " بمقياس زمنهم ، إذ كانت مدينتهم مُبلّطةً نظيفةً ، والجامعُ وسطُها ، وهو في غاية من الأتقان والحُسن ، وفي وسطه بركةُ ماءٍ . وقد ذكر البشاري أنّ بناءَهم كان من الحجارة . ويبدو أنهم كانوا كذلك يَتمتّعون بمُستوىً اجتماعيّ متميّز ، كما يُفهَم من قول البشاري : " ولا أَلبق من أهل نابُلس ، ثم الرّيّ بعد بغداد " (٥) .

وأمّا طعامُهم ، فقد كان مما تُنتِج أرضُهم ، وكانوا يخبزون خُبزَهم في الأفرَنَةِ ، في حين أنّ أهلَ الرّيفِ كانوا يَخبزونه في الطّوابين : والطابون عبارة عن تَنّور في الأرض يُفرَشُ بالحصى ، فيوقَدُ حولَه وفوقَه ، فاذا احمَرَّ ، طُرِحت الأرغفة على الحَصى " (٦) .

---

(١) الأصطَخري ، ابراهيم بن محمد الفارسي سنة ٣٦٥ هـ ، المسالك والممالك ، محمد جابر الحسيني ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١ ، انظر : ص٤٤ . وانظر : مروج الذهب ، دار الأندلس ١٩٦٥ : ج ١ ، ص ٧٢ .

(٢) عبدالحق البغدادي سنة ٧٧٣هـ ، مراصد الأطلاع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، انظر : ج ٣ ، ص ١٣٤٧ .

(٣) أحسن التقاسيم : ص ١٧٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣

(٥) أحسن التقاسيم : ص ٣٤

(٦) المصدر نفسه : ص ١٨٣ .

الفصـــــل الأول

" الحيــاة الثقافية في نابلُـس وما جاورها "

من المعروف أنّ العصرَ العباسيّ عصرٌ مُديـد ، بدأ بزوال حُكم الأمويين عـــام مائةٍ واثنـين وثلاثين ، وانتهى بغزو التّتار لبغداد وتخريبها على أيديهم عام ستمائة وستـــة وخمســـين . وهو عصرٌ مُزدهـــرٌ علما" وحضارةً وفكرا" ، بـل لَعلّه أكـــثرُ العصور الاســلامية امتدادا" وازدهارا". غير أنّ امتدادَ الزّمان يَنبغي ألّا يُنسي ضيــقَ المكان وانحصارَهُ في رُقعة صغيرة من الأرض ، كما هي الحالُ في نابلُس وما حولَها، وذلك فضـــلا" عن بعد نابُلس عن مُركز الخلافة في بغداد ، ومراكز الثّقافة والأشعاع الفكـــريّ في دمشق والقاهرة وبـــلاد فارس . وقد يقول قائل : إنّ الرّملةَ وطبريّةَ وبيتَ المقـدس تشــــتركُ مع نابُلس في هذه الصفة ، وقد كانت مراكز حضارة وثقافة . إلّا أنّ الرّملةَ كانت في تلك الفترة قَصَبــة جُند فلسطين ، وكانت طبريةُ قَصَبةَ جُند الأردن ، فيمـا كانـت بيْتُ المَقدس وما زالت ، ذات مكانة دينيّة وتاريخيّة متميّزة . ولعــلّ هذه الميزات فـــي المدن الثـلاث قد نَشأ عنها اجتذابُ الكثير من النّابـلُسيين إليها . على أنّ هذه المدنُ لم تكن وحدَها الّـــتي اجتذبَت علما" المنطقة ، فإنّ المصادر القديمــــة قد حَفظَت لنا كثيرا" من الأسما" التي ينتسب أشخاصها لهذه المدينة ، ولكنّهم تركوهـا إلى غيرها من العواصم ومراكز الحضارة في أنحا" مختلفة من العالم الأســـلامي .

فاذا ماعلمنا أن نابلس قد نكبها الزّلـــزال قديما" مرّتين (١) ، فدَمّرها تدمـــيرا" بالغا" ، اضافة لما تعرّضت له من وَحشيّة الغزوين الصّليبي والتّتري،أدركْنا السبــــبَ في هجـــرة الكثيرين مِمن نبَغوا خارجَها ، وأدركْنا السّـــر في طبيعة المعلومات الـتي وَردتْنا عن هذه المنطقة ، ولا سيّما في مجال الأدب والثقافـة .

وليست الشكوى هاهُنا من انعدام المعلومات أو قلّتها في المصادر القديمة،بـل من كونها معلومات مبعـــثرة مشتّتـــة ، تحتاج إلى من يَجمَعُها من مَظانّها . ويُمكنُ القولُ استنادا" إلى هـــذه المعلومات ، أنّ الفترة الّتي يُمكن تَحديدُها بتاريخ قيام الدولة العباسيـة عام مائة واثنين وثلاثين ، وسقوط نابلس بيـــد الصليبيين عام خمسمائة وأربعة ، كانـــت فـــترة شحيحة الأنتاج ، إذ لم تَذكـــر لنا المصادرُ شيئا" ذا أهميّة عن هذه الفـــترة سوى ماحَفظَتْــه من أسما" لعَدَدٍ مُحدودٍ من أعيان المدينة الّـــذين اضطرّتهم ظـــروفٌ مُختلفة إلى مغادرَتها والانتقالِ بعلمِهم إلى بقاعٍ أخرى في الدولة الاسلاميّة . وكـــان

---

(١) الذيـــل على الروضتـــين : ص ٢٦ .

من هــؤلاء الفقيهُ والمحــدّثُ والشاعرُ والراويةُ . فقد كان الشيخ نَصْرُ بنُ ابراهــيمَ النابُلُســي مثلاً ، من أكبر فُقهاءِ عَصره ، ويعتبرُه المؤرخون فقيه الشافعية في الشام في زمنه ، وقد قيل فيه : إنه لو تقدّم به الزمن ، لَساوى الفقهاء الأربعةَ في منزلتهم ، ولكنهــم فاتوه في السَّبــق (١) . ومن فقهاءِ هذه الفترة وعلمائها الأجــــلاّء، الشهيــدُ الذي قتلَه عليه ، المعروفُ بابن النابُلُسي (محمد بن أحمد بن سهــــل ابن نصــر (٢)) . ومنهم الشيخ أبوعبدالله الدّيباجيّ النابُلُسيّ الذي كان مُقَــدّماً في الفقه وعلم الكلام على مذهب الأشعري (٣) . ومنهم الشاعرُ الراوية ادريــس بــنَ يزيــدَ النابُلُسي الذي كان مُعاصراً لأبي تَمّام ، وعنــه أخذ الصّولي كثيراً مـــن أخبــاره (٤) .

ومن الأمور الطبيعية ، أن الفترةَ الواقعَة مابين عام خمسمائةٍ وأربعةٍ الذي دَخَلَ فيــه الصليبيــون نابلس ، وعام خمسمائة واثنين وخمسين الذى اشتَــدّتْ فيه حَرَكةُ الهجــرة من المدينة وما حولها ، هي فترة لا تَستَبــينُ فيها معالمُ لِنشاطٍ أدبيّ أو ثقــافي، وذلك نظــراً لما نشأ عن الحروب الصليبية من اضطراب وقتال وانشغال بمدافعَــــة العَــدُوّ . وكُلُّ ماوَصَلنا عَن هذه الفترة ، ماذَكَــرَهُ السّمعاني عن وُجود المَسجـــد الجامع ومسجــدٍ آخــرَ في نابُلس ، وما ذَكَــرَهُ كذلك من أنه اجتمع بخطيـــب نابلـــس أبي الحسينِ عليّ بن جعفر وكتب عنه بُيْتين من الشِّعر (٥) ، وما ذكرته بعــــضُ المصادرِ الأخرى عن الشيــخ أحمدَ بنِ مُحمَّدِ بنِ قُدامة ، خطيبِ قَرية جَمّاعيل ، ووالدِ الشيخِ الزّاهِدِ أبــي عمر،والشيــخ المُوَفّق ابن قدامة ، الذي اضطرتْهُ هَجمةُ الصليبيين إلى الهجــرة بأولاده وآل بيته إلى دمشــق (٦) .

---

(١) السُّبكي ، تاج الدين ٧٧١ هـ ، طبقات الشافعية ، محمد الطناحــي . وعبدالفتاح الحلو ، مطبعة الحلبي ، القاهره ، ط١ (انظر : ج ٥ ، ص٣٥١ .

(٢) ابن تَغري بَردي ، جمال الدين أبوالمحاسن ٨٧٤ هـ ، دار الكتب المصــرية ١٣٥٣ ، ج ٤ ، ص١٠٦ .

(٣) ابن عساكر ، أبوالقاسم علي بن الحسن ٥٧١ هـ ، تَبيين كَذب المُفتري ، مكتبة القــدس ، دمشق ، انظــر ص٣٢١ .

(٤) الصّولي أبوبكرمحمد بن يحي ٣٣٥ هـ ، أخبار أبي تمام د . محمد عبده عزام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهره ١٩٣٧ (انظرص٤٠ ، ١٣٦ ، ٢٧٣)

(٥) السّمعاني ، عبدالكريم بن محمد بن منصور ٥٦٢ هـ ، الأنساب ، اعتنــاء مرجوليوث ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٦) ابن العماد الحنبلي ، أبوالفلاح ، عبدالحي ١٠٨٩ هـ ، شذرات الذهب احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، انظر : ج ٤ ، ص١٨٢ .

على أنّ الفترةَ اللّاحقةَ ، كانت أفضلَ بكثيرٍ منَ الفترتين السّابقتين ، ولا سيّما بعد طرد الصليبيين من المدينة وما حَولها ، إذ وُجد في المدينة علماءُ في مَجالاتِ المعرفة المُختلفة في الفقه والشعر واللغة والنحو ، وعُلوم الهيئة والنجوم وتعبير الرؤيا وغيرها ممّا سأقف عليه في الفصول اللاحقة .

ومن الجدير بالذكر ، أنّ الحركة الأدبية والثقافية كانت في الفترة الأولى مقتصرةً على المدينة نفسها دونَ ما يحيط بها ، في حين أنّ هذه الحركة استبانت آثارُها في المنطقة المحيطة بالمدينة في الفترتين اللّاحقتين ، فبرزت أسماءُ الكثير من القُرى التي كان لها دَوْرٌ في انجاب بعض من نوابغ العلم ، ومن هذه البلدان جَمّاعيل (١) التي يُنتَسَبُ إليها آلُ قُدامةَ المعروفون ، وقريةُ مُردا (٢) ، التي يُنتَسَبُ إليها عَدَدٌ من العلماء ، والفُنْدُق (٣) ، ومِسْكَةُ (٤) وقاقونُ (٥) ، ومَجْدَلُ بني زَبْر (٦)

---

(١) " بالفَتح وتشديد الميم ، وألِفٍ وعَين مُهمَلة مكسورة وياءٌ ساكنة ولام : قرية من جبل نابلس من أرض فلسطين ... " انظر : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) " ومُردا : قرية قرب نابُلس ، إلّا أنّ هذه لا يُتلفَّظ بها إلّا بالقصر " انظر : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٣) فُندُق الشّيوخ : من أرض نابُلس ، توفي بها أحمدُ بنُ عبد الدائم بنِ نِعمَةَ المولود سنة ٥٧٥ هـ ، وكان ناسخاً " انظر : عيون التواريخ / الكتبي : ج ٢ ص ٣٩٣ . كما يُنسَب اليها علي بن عبد الحميد بن محمد الفُندُقي ، المولود سنة ٦٣٥ هـ ، وكان فقيهاً "مُفتياً" . انظر : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٤) مِسْكَة : بلفظ تأنيث المِسْك الذي يُشَمّ ، وهي قرية من قرى عسقلان يُنسَب إليها جماعة بمصر منهم شيخُنا عبدُ الخالق بنِ صالح بنِ علي بنِ زيدان المِسْكي ، وعبدُ الله بنُ خلف بنِ رافع المِسْكي ... " انظر: معجم البلدان ج ٥ ، ص ١٢٨ . وهي في هذا العصر من عَمَل نابُلس .

(٥) قاقون : بعد القاف الثانية واو ساكنة ونون ، حِصْن بفلسطين قرب الرَّملة منها أبو القاسم عبدُ السّلام بنُ أحمد بنِ أبي حَرْب القاقوني ، وشِبل بنُ علي بنِ شِبْل القاقوني ... " انظر: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ . وهي في هذا العصر من عَمَل نابُلس .

(٦) يُنسَبُ إليها الشَّيخُ الأجَلُّ ، أبو محمد عبدُ المَلِكِ بنُ سعيد ابن عبد الملك النابُلُسي المَجْدلي الزَّبْري ، المتوفي سنة ٦٠١ هـ ، انظر: التكملة ، ج ٢ ص ٧٣ .

والساويةُ (١) ، وجيتُ (٢) واللِّبّنُ (٣) وبُورينُ (٤) وقَــراوى بَني حَسّــان (٥) وغــيرُها .

ولقــد كان للعنصر النِّسائي مشاركةٌ في الحياة الثقافية ، فقد حفظ لنا التاريخُ أسماءَ عــددٍ من النِّســوة اللّواتي كان لهن في الثقافة أثــرٌ واضح ، ومن هؤلاء : رُقَيَّــةُ بنــتُ أحمــدَ بن محمدٍ بنِ قُدامة المتوفاةُ سنةَ احــدى وعشرين وستمائة ،(٦) والمحدثةُ آسيــةُ أختُ الضِّياءِ المقــدسي ،(٧) وخديجةُ بنتُ محمدٍ بن خَلفٍ المَقدِسيَّة ،(٨) وآسيةُ بنتُ محمدِ بنِ خلــف زوجُ الضِّياءِ المقدسي (٩) . وأمُ محمدٍ ، رابعةُ ابنــــةُ

---

(١) وفيها توفي أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدالهادى بن يوسفَ بنِ قُدامةَ ، وكــان اماماً بمسجــدها ، واستُشهد على يد التتارسَنة ٦٥٨ هـ . انظر شــذرات الذهــب ج ٥ ، ص ٢٦٥ .

(٢) جيت من عمل نابلس ، يُنسَب إليها مُهَلهِلُ بنُ بدرانَ الجيتيّ المحدّثُ وولدُه محمد ، وأحمدُ بنُ عبدالحميد الجيتيّ الفقيه . انظر : تبصير المنتبــه بتحرير المشتبه ، القسم الأول ، ص ٣٠٠ .

(٣) " ولُبّنُ هذه قرية بالشــام من أعمال نابُلُس ، ينسب إليها الفقيهُ الفاضلُ أبــو بكــر محمدُ بنُ عبدالواحد بن عبدالجليل المخزومي اللُّبّني " المشتبه : ج ٢ص٥٦١

(٤) وفيها وُلــد الشيخُ غانمُ بنُ علي بن ابراهيمَ بنِ عساكر النابلسي ، سنة ٥٦٢هـ وكان زاهداً متصوفاً ، انظر : مرآة الجنــان ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

(٥) " وقــراوى أيضاً ، قرية من أعمال نابلس ، يقال لها : قَراوى بني حَســان ونُسِبَ اليها أبو محمد عبدُالحميد وأحمدُ ابنا مُرّي بن ماضي القَــراوي الحَسّاني " معجم البلــدان ، ج ٤ ص ٣١٩ . وانظر كذلك : تاريخ أربل ، القسم الأول ص ٣١٥ ، والقــلائد الجوهرية : ج ١ ص ٣٤ .

(٦) " حدثت بالإجازة عن أبي الفَتح محمد بن عبدالباقي بن أحمدَ ، وأبي بكــر أحمــدَ بن المُقرّب الكَرْخي ، وغيرِهما ، ولَنا منها إجازةٌ وهي والدة الحافــظ أبي عبداللهَ محمد بن عبدالواحد المقدسي المنعوتِ بالضّياء ، وكانت مــن أهــل الخير والصَّــلاح " / التكملة : ج ٣ ، ص ١٢٤ . وانظر : أعــلام النســاء ج ١ ص ٣٥٤ .

(٧) محدثةٌ رَوَت بالاجازة عن ابن شاتيل . انظر أعلام النساء : ج ١ ، ص ٦ .

(٨) " محدثة سَمِعَتْ من ابن طَبَرْزَد الجزءَ الثامن والعشرين من أمالي السَّمَرْقَنــدي وسُمِعَ عليها الجــزءُ الأولُ من فوائد محمدِ بنِ المأمون " . انظــر : أعــلام النساء ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٩) " الشيخة الصالحة ، حدّثت بالاجازة عن أبي السعادات نصرِالله بنِ عبدالرَّحمن ابن محمد القــزاز وغيرِه ، وكانت تَحفَظُ القرآن " . انظر:التكملة : ج ٣ ، ص ٤٠٤ .

الشيخ أبي العباس أحمدَ بن محمّد بن قُدامةَ (١) ، وغيرهنّ كثيرات (٢) .
وإن لم يصلنا الكثيرُ من المعلومات عن المدارس ومراكز التّعليم في نابُلُس ، فقد ذَكرَ الذّهبيّ ، ونقل عنه الحافظُ ابن رَجَب ، في ترجمة الفقيه الزّاهد عِماد الدّين عبدِالحافظ بن بَدرانَ بنِ شِبْل بن طَرخان المقدسيّ النّابُلُسيّ، أنّ هذا الفقيهَ بني بنابُلُسَ مدرسةً ، وذَكَر ابنُ رجَب أنّ عبد الحافظ المتقدّمَ ذِكرُه قد دُفِنَ بزاويته بطور عَسْكَر (٣) وتحدّثَ ابنُ كثير عن زاوية الشّيخ عبدِالله بن غانم بنِ عليّ بنِ ابراهيمَ بنِ عساكرَ بنِ الحُسين المقدسيّ ، المُتوفى عامَ اثنين وسبعين وستّمائةٍ بأرضِ نابُلُسَ (٤) . وما من شكّ في أنّ أهلَ نابُلُسَ ومنطقتِها كانوا يتّخذون كذلك من المساجد أماكنَ للتّثقيف والتّعليم،إذ إنّ من المعروف أنّ المسجدَ كان مَدرسةَ المسلمينَ الأولى ، وكانَ يُعتَبَرُ أفضلَ مواضع التّدريس،لأنّه موضعُ مُجتَمَع النّاس رَفيعِهم ووَضيعِهم ، وعالِمِهم وجاهِلِهم،فهو بذلك مُتميّزٌ عمّا سواه (٥) . وقد أفادَت المصادرُ القديمةُ كذلك ، أنّ العلماءَ كانوا يَفِدون إلى نابُلُسَ للأخذ عن عُلمائها : فقد ذَكر النّعَيْميّ في تَرجَمته للشّيخ علاء الدين بن العَطّار الّذي تولّى مشيخةَ دار الحَديث النّوريّة ، أنّه أخذَ في نابُلُس عن العماد عبدِالحافظ ابنِ بَدران (٦) . وذَكر أيضاً أنّ الأمامَ شمسَ الدّين الذّهَبيّ قد أخذ عنه في نابُلُسَ (٧) هو الآخر . ونَقل أبو شامةَ عن سِبط ابنِ الجَوزيّ أنّه خَرَجَ سنةَ سبعٍ وستّمائةٍ من دمشقَ إلى نابُلُسَ بنيّة القِراءة (٨) . ويُفهَمُ من كلامِ ابن واصل الحَمَويّ ، أنّ

---

(١) " أجازَ لها أبو الفتح مُحمَّدُ بنُ عبد الباقي ، وأبو القاسم يَحيى بن بندار وغيرُهما ولِتامنها اجازة ، كَتَبَت بها إلينا من دمشق غيرَ مَرّة ، وكانَت حافظةً للقرآن،تُعَلّمُ النّساء ... ... " التكملة : ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٢) انظر مقدّمة القلائد الجوهريّة ، بقلم محمد أحمد دهمان ، ص : ٥ وما بعدها .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(٤) البداية والنهاية : ج ١٣ ، وفيات سنة ٦٧٢ هـ .

(٥) ابن الحاج ، محمد بن محمد بن محمد العَبدَري الفاسي ٧٣٧ هـ ، المدخل ، الطبعة المصرية بالأزهر ، ١٩٢٩ ، ط١ ، انظر : ج ١ ، ص٨٥

(٦) الدارس في تاريخ المدارس : ج ١ ، ص٧٠ .

(٧) المصدر السّابق : ج ١ ، ص ٧٩ .

(٨) الذّيل على الروضتين : ص ٦٩ .

المدينة كانت محط هوى للملك المعظم عيسى (١) ، وهو من هو علماً وأدباً وبراعةً في الفقه واللغة والنحو ، وقد شبّهوه بالمأمون بتقريبه العلماء والأدباء ومجالسته لهم واجرائه الجرايات عليهم (٢) ، اذ كان يُكثر التردد على نابلس ، حتى إنه ابتنى فيها بيتاً (٣) ، وقد ألّف بعضاً من كتبه فيها ، وأشار إلى ذلك ، ففي كتابه "السهم المصيب في الرد على أبي بكر الخطيب" ذكر في مقدمة الكتاب أنه ألّفه وهو يُدافع هجوم الصليبيين عن نابلس (٤) . وذكر ابن واصل أنه وقف على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط الملك المعظم عيسى في عدة مواضع ، وقال في بعضها "أنهيته مطالعة ومراجعة وأنا بنابلس (٥)" .

ومن الأمور التي تستوقف الباحث ، أنّ عدداً من علماء المدينة كانوا موسوعيين في معارفهم ، إذ قد يكون الواحد منهم متقدماً في الفقه والحديث واللغة والفرائض والنحو ، وله نظم حسن ، إلى ما سوى ذلك من الفنون ، ولكنه كان يتميّز في علم من العلوم ، فيُنسب إليه .

وقد شاع في هذه الفترة ، ولا سيما في المائة السادسة وما بعدها ، تلقيبهم علماءهم بألقاب توحي بالتزكية والثناء ، كأن يقولوا : ضياء الدين ، ونور الدين ، وعماد الدين ، كما كانوا يلقّبون بالموفّق والمشرّف والمؤيّد والتّقي وغيرها .

---

(١) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ٦٩٧ هـ ، مُفرّج الكروب في أخبار بني أيوب ، د . حسنين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، انظر : ج٤ ، الصفحات : ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢١١ .

(٢) مقدمة ديوان ابن عُنين ، بقلم : خليل مردم ، ص: ١٣ — ١٤ .

(٣) مُفرّج الكروب : ج ٤ ، ص٢٣٠ ، وانظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ط٢ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ق٢ ، ص٢٨٤ وما بعدها .

(٤) الملك المعظم عيسى ، السّهم المصيب في الرد على أبي بكر الخطيب ، مطبعة السعادة القاهرة ، ١٩٣٢ ، انظر ص : ٢٧

(٥) مُفرّج الكروب : ج ٤ ، ص٢١١ .

أ . في علوم الحديث والزّهد (١) :

كان الانصرافُ عن الدّنيا والاقبالُ على الآخرة سِمةً مميزة من سِمات عددٍ من علماء الفترة المتأخرة من هذا العصر ، وهي الفترةُ التي واكبت الغزوين الصّليبيّ والتتري . وقد يكون هذا الاتجاه ردّ فعلٍ طبيعياً لما أصاب الناسَ من كوارثَ ونكباتٍ، ولما شاع في بعض طبقات المجتمع من خروج على قواعد الدّين ، فلا عجبَ إذن أن توجد طبقةٌ من الزّهاد العلماء الذين انصرفوا عن الدنيا ومباهجها ، وكرّسوا علمَهم لخدمة النّاس دون أن يتقاضوا عليه أجراً في أغلب الأحيان (٢) . وقد كان لأولئك الزّهاد زوايا، كما كان لهم مُريدون (٣) . وكان بعضهم يُغالي في الوَرَع ، مما جعل معاصريهم يَنسبون إليهم الكراماتِ ، وأُثر عن بعضهم أنهم كانوا ذوي حِذقٍ عظيم في تعبير الرُّؤيا (٤) .

أمّا طليعةُ الزُّهاد النّابلسيين ، فقد كان الفقيهَ الكبيرَ الشيخَ أبا نصر نصرَ بن ابراهيمَ بن نصر النابلسي ، المُتوفّى سنة تسعين وأربعمائة . وقد قال فيه الذّهبي : "وكان إماماً علّامةً مُفتياً محدّثاً حافظاً زاهداً مُتَبتّلاً وَرِعاً كبيرَ القَدر عديمَ النّظير" (٥) . ومن الزّهاد القانتين الشيخُ أحمدُ بنُ محمد ابنِ قُدامة (٦) ، خطيبُ جَمّاعيل ، ووالدُ الشيخين : الشيخِ أبي عمر ، محمّد ابنِ أحمدَ بنِ قدامة ، والشيخِ المُوفّق ابنِ قُدامة . وقد فرّ بدينه من الفرنج مُهاجراً إلى الله ، ونزل بمسجد أبي صالح بظاهر الباب الشرقي من مدينة دمشق ، ثم صعد إلى الجبل وبنى فيه مكان

---

(١) الزُّهد ، في اللغة ، هو ترك الميل إلى الشيء ، وفي الاصطلاح : هو بُغض الدّنيا والاعراض عنها ، وقيل هو تركُ راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة (انظر : كتاب التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجُرجاني ص١٢٠)

(٢) تبيين كذب المفتري : ص٢٨٦ .

(٣) الوافي بالوفيات : ج٣ ، ص٣٦٩ .

(٤) ابن القاضي ، أحمد بن محمد المكناسي ، دُرّة الحِجال في أسماء الرّجال ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، انظر: ج١ ، ص٣٢ .

(٥) العِبَر في خَبر من غَبَر : ج٣ ، ص٣٢٩ .

(٦) له ترجمة في : العِبَر ، ج٤ ، ص١٦٤ * ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٦١ * بالوفيات : ج٨ ، ص٨٣ * مرآة الجنان : ج٣ ، ٣١٤ * الدارس : ج٢ ص١٠١ * شذرات الذهب : ج٤ ، ص١٨٢ .

عبادة ، ونزل هو وأهله بسفح قاسيون (١) . وكان هذا الشيخ رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ، وُصف بأنه صاحبُ كرامات وأحوال وعبادات ومُجاهدات ، وكان عليه مهابةٌ عظيمةٌ ، لا يراه أحدٌ إلاّ قَبّل يده . وقد قال فيه أبو الفرج ابنُ الحنبلي (٢) : "كان له قَدَمٌ في العبادة والصّلاح ، سمعتُ والدي يقول: لو كان نَبيٌّ يُبْعَثُ في زمان الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة،لكان هو"(٣) . وقد حَدّث عنه ولداه : الموفَّقُ وأبو عمر (٤) ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (٥) . ومن الزّهّاد ، جمالُ الدين محمدُ بنُ ابراهيم بن عبد الرحمن بن منصور الزّاهد (٦)، المتوفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، سَمع الحديث بدمشق وبغداد ، وكان فقيهاً وَرعاً زاهداً ، كثير الخَشْية والخوف من الله تعالى ، حتى كان يُعرَف بالزّاهد . أمّ بمسجد دار البَطّيخ بدمشق ، وهو مسجد السّلاطين ، وأدركه أجلُه بنابُلس . وممّن عُرفوا بالزّهد والتّبتّل ، الشيخُ غانمُ بنُ علي بن ابراهيمَ بن عساكرَ المَقدسيّ النابُلسي الزّاهد (٧) ، وقد وصفه ابنُ العماد الحنبلي بأنه "أحدُ عباد الله الأتقياء ، والسّادةِ الأولياء"(٨) .

---

(١) شذرات الذهب : ج ٤ ،ص٣٤٤ .

(٢) ناصح الدين أبو الفرج عبدُ الرحمن بنُ نجم الدين بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشّيرازي ، ولد بدمشق سنة ٥٥٤ هـ ، وكان واعظاً مُفتياً ، له خُطب ومقامات ، وله كتاب "تاريخ الوعّاظ" واليه انتهت رياسة المذهب بعد الشيخ المُوَفّق ، وكانت وفاته سنة ٦٣٤ هـ . (انظر : العبر ، ج٣ ، ص٢١٩ ، والقلائد الجوهرية : ج١ ، ص١٥٨) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج٢ ، ص٦١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مرآة الجنان : ج٣ ، ص٣١٤ .

(٦) انظر : شذرات الذهب : ج٤ ، ص٣٤٤ .

(٧) انظر : مرآة الجنان ، ج٤ ، ص٨٦ .

(٨) انظر : الأنس الجليل ، ج٢ ، ص١٣٥ .

وُلِد سنة اثنتين وستين وخمسمائة بقرية بورينَ من عُمَل نابُلُس ، وسَكَن القدس عام أنقَذه السلطانُ صلاحُ الدّين من الفرنج سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقد ساح بالشام ، ورأى الصّالحين ، وَوُصِف بأنه كان صاحب أحوال وكرامات .

ومن الزُّهاد ، الشيخُ الزّاهد الوَرعُ شهابُ الدّين أبو العبّاس أحمدُ بنُ أحمدَ بن جَعفر النابُلُسي (١)، المولودُ في نابُلُس سنة سبع وسبعين وخمسمائة وكان قد سمع الحديث من الحافظ ابن عساكر وغيره ، وقد خَطَب مدّة طويلة ببيت المقدس ، وحَكَم به ودرّس ، وتوفي سنة خمس وستين وستمائة . ومن الزّهاد المتصوفين ، أبو عبد الله محمدُ بنُ عبد الله بن غانم بن علي النابُلُسي (٢) وقد ذُكِر عنه أنّه قَدِم دمشق ، وتفقّه على الشيخ تاج الدين الفِزاري (٣) وأفتى ببلده مُدّة الى حين وفاته سنة ثلاث وتسعين وستمائة . وقد وَصَفه الصّفدي بأنه كان صالحا " زاهدا " ، وله فقراءُ مريدون (٤) . وممّن بَرعوا في تعبير الرُّؤيا ، الفقيهُ المُحَدِّثُ الزاهدُ العابدُ شهابُ الدّين أبو العباس أحمدُ بنُ عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نِعمَة المَقدسي النابلسي (٥) ، المولود في نابلس سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع بها من عمه تقيّ الدين يوسفَ (٦) ، ومن الصاحب محيي الدين ابن الجوزي (٧) . ورحلَ إلى مصر ودمشق وأجازله جماعة . تفقه في مذهب الامام أحمد وبرع في معرفة تعبير الرؤيا ، وانفرد بذلك بحيث لم يُشارَك فيه ولم يُدرَك شأوُه . فقد قال الصّفَدي : " وكان إليه المُنتَهى في تعبير الرؤيا ، واشتهر عنه في ذلك عجائب ،

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٣٥ .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .

(٣) تاج الدين ، أبو محمد ، عبدُ الرحمن بنُ ابراهيم بن سِباع الفِزاري الدمشقي الشافعي . فقيه الشام ، وكان مقدما " في المناظرة . توفي سنة ستمائة وتسعين . انظر : العِبَر ، ج ٣ ، ص٣٧٢ .

(٤) الوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص٣٦٩ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٣٢٦ .

(٦) تقي الدين يوسفُ بنُ رشيد الدين اسماعيل بن عثمان الدمشقي ، دَرّس بالبَلْخيّة وأفتى ، وكان على أجمل الطّرق ومن أهل الخير ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧١٤ هـ . انظر : تالي كتاب الوفيات : ص٤٨ .

(٧) أبو المحاسن يوسف بنُ الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي البغدادي ، ولقد كان سفيرا " للخلافة والملوك فحَصّل أموالا " كثيرة مما مكنه من بناء المدرسة الجَوزية بدمشق ، وكان مشاركا " في كثير من العلوم ، وقد ضُرِبت عُنُقه سنة ٦٥٦ هـ . (انظر : الأعلاق الخطيرة . ج ٢ ، ص٢٥٦)

ويُخبرُ صاحبَ الرّؤيا بالمُغَيّبات التي لا يَقتضيها المَنامُ أصْلاً " (١) . ووصفه الحافظ ابنُ رجب بأنه كان كثير العبادة والأوراد والصّلاة (٢) ، ووصفه الذّهبي بأنه كان إماما" فاضلا" ، وذكر له مصنفا" نفيسا" في الأحكام (٣) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، ولم أجده عند غيره . وذكر له غيرُ الذّهبي كتابا" سماه : " البَدرَ المُنير في التعبير " (٤) ، وهو في تعبير الرؤيا . توفي أبو العباس سنة سبع وتسعين وستمائة بدمشق ، وكانت جنازته حافلة وخرج نائبُ السّلطنة للصلاة عليه ، وكذا القضاة والأكابر (٥) .

أمّا شيخُ الزّهاد في المنطقة في ذلك العصر ، فهو الشيخُ أبو عمر محمدُ بنُ أحمد ابن محمد بن قدامة بن نصر بن عبد الله الجَمّاعيلي المقدسي ، ثُمّ الدّمشقي الصالحي،(٦) المولودُ سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية جَمّاعيلَ (٧) ، وقد هاجر مع والده الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المتقدم ذكرُه إلى دمشق سنة احدى وخمسين وخمسمائة ، وقد عُرف عنه أنه كان زاهدا" ورعا" عابدا" قانتا" لله شديد الرّهبة منه ، وكان يجد مُتعةً في قضاء حوائج الناس ، فكثيرا" مارآه أصحابه يجمع الشّيحَ من الجبل ويربطُه بحَبل ،فيحمله الى بيوت الأرامل واليتامى (٨) . وقد قلبَ الشيخُ أبو عمر للدنيا ظهر المِجَنّ ،فأعرض عنها وزَهد بمُتَعِها ، فكان طعامُه منها خبزَ الشّعير ، وفراشُه الحصيرَ ، وكان ثوبُه من الخام الخَشن لا يكادُ يُتجاوز أنصافَ ساقيه (٩) . وكانت له ، مع ذلك ، مهابةٌ عظيمة في نفوس الناس ، واحترامٌ خاصٌ لدى أصحاب الشأن ، فقد كان يُكثر الكتابةَ إلى أرباب الولايات مُتَشَفّعا" لمن يقصده ، وقال له أحدهم في ذلك :

---

(١) الوافي بالوفيات : ج ٧ ، ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٣٦
(٣) المصدر السابق .
(٤) دُرّة الحجال : ج ١ ، ص ٢٢ * معجم المؤلفين : ج ١ ، ص ٢٦٦ .
(٥) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٣٦ .
(٦) له ترجمة في : الذيل على الروضتين : ص ٧١-٧٥ * مرآة الزمان : ق ٢ ج ٨ ص ٥٤٦ الى ٥٥٣ * ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ص ٥٢ - ٦١ * التكملة : ج ٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ * سير أعلام النبلاء : ج ٢٢ ص ٥ * الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٦١ * النجوم الزاهرة : ج ٦ ص ٢٠١ * مرآة الجنان : ج ٤ ص ٥١ * الدارس : ج ٢ ص ١٠٠ * القلائد الجوهرية : ج ٢ ، ص ٤٢٠ * مختصر طبقات الحنابلة : ص ٤٢-٤٣ * الأعلام : ج ٦ ص ٢١٤ * معجم المؤلفين : ج ٦ ، ص ٣ .
(٧) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٥٢ .
(٨) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ ، ص ٥٤٧ .
(٩) انظر : الذيل على الروضتين : ص ٧٣

"نحنُ لا نُرِدُّ لك رُقعةً أبداً" (١) . وذكر ابن الجوزي أن الملك العادلَ كان يتردّدُ عليه زائراً . وعند ما خرجَ السُّلطان صلاحُ الدّين لاسترداد القدس من الصليبيين ، كان الشيخ أبو عمر من بين العلماء الذين رافقوه في حَملته (٢) .

وقد عُرِفَ الشيخ أبو عمرَ بأنّه كان صاحبَ كرامات ، أورد بعضاً منها سِبط ابن الجوزي ، وذكر ابن طولون (٣) مجموعة من هذه الكرامات نقلها عن الحافظ الضياء المقدسي (٤) ، الذي كان قد ألّف جزءاً ذكر فيه كرامات الشيخ أبي عُمَر(٥) أمّا حياتُه العلمية ، فقد كانت حافلةً ، إذ نُقل عنه أنه حفظ مُختصر الخِرَقي ، في الفقه ، وحفظ القرآن الكريم وقرأه بحرف أبي عمرو ، وسمع الحديث من والده ومن أبي المكارم بن هلال (٦) وأبي تميم سلمانَ بن الرَّحَبي (٧) . وقَدِمَ مصر ، فسمع بها من الشريف أبي المفاخر سعيد بن الحسين المأموني (٨) وأبي محمد

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص٥٤ .

(٢) مرآة الزمان : ج ٨ ، ق ٢ ، ص٥٤٧ .

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصّالحي الحنفي ، ولد بالصالحية سنة ٨٨٠هـ ، وتوفي فيها سنة ٩٥٣هـ ، وهو ذو شخصية قوية ، درّس علوماً وفنوناً متنوعة بلغت ثمانية وعشرين علماً ، له عشرات المصنفات منها "القلائد الجوهرية في تاريخ الصّالحية" و"أعلام السائلين عن كتب سَيّد المرسلين" و"الثغر البَسّام في من وُلي قضاء الشام" و"ضَرْب الحوطة على جميع الغوطة". انظر : مقدمة "القلائد الجوهرية" بقلم محمد أحمد دهمان: ص٩ وما بعدها

(٤) ضياء الدين المقدسي ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ، سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً ، وله تصانيف حسنة الفوائد منها : "كتاب الأحكام" و"المختارة" في علوم الحديث ، وتُوفي سنة ٦٤٣ هـ . (البداية والنهاية :ج ١٣ ، ص١٦٩)

(٥) مخطوطات الظاهرية ، مخطوط رقم ٣٨١٩ ، منسوخ سنة ٦١٩ هـ . وانظر: القلائد الجوهرية : ج ٢ ص٤٢٠ .

(٦) أبو المكارم بن هلال ، عبد الواحد بن أبي طاهر محمد بن المسلم الأزدي ، كان كثيرَ العبادة والبِرّ ، أجاز له الفقيه نصرُ المقدسي ، وتُوفي سنة ٥٦٥ هـ . (شذرات الذهب : ج ٤ ، ص٢١٥) .

(٧) لم أجد له ترجمة في المصادر التي توافرت لديّ .

(٨) سعيد بن الحسين بن سعيد العباسي ، أبو المفاخر المأموني ، كان راوياً للحديث ، روى صحيح مسلم بمصر وتوفي سنة ٥٧٦ هـ . انظر : العبر : ج ٣ ، ص٧٢ .